تكتب احيانا كثيرة بالدم قبل أن يكتشفها مسجلة في كتاب ثوري . ولئن كان هذا ليس في حد ذاته ميزة تحسد عليها الثورة الفلسطينية ، الا انه كان أحد مداخل الوعي السياسي وأشدها عمقا وتأثيرا ، فليس كالتجربة العملية تصقل الوعي ، فكيف بها اذا كانت تجربة مخضبة بالدم .

هذه الظروف القاسية التي وجدت الثورة نفسها في تعامل مباشر معها ، أتاحت للثورة فرصة التزود بالوعي وتحديد مواقفها الحاسمة بالنسبة للتحالفات وتمييز الاصدقاء ، ونقلت الثورة نقلة نوعية الى حد تجاوزت معه في بعض المجالات ، المستوى الذي بلغته حركة التحرر العربية نفسها .

ان الثورة الفلسطينية التي قامت في الاساس من أجل عودة شعبها الى وطنه وتقرير مصيره عليه ، قد تخطت بفضل طابعها القومي كجزء من حركة التحرر العربية ، مجال اختصاصها الاساسي ، وأخذت تؤثر تأثيرا مباشرا في تطور الحركة العربية في المجالين الوطني والاجتماعي . وقد يبدو غريبا ان يعزى لثورة قومية ، كل همها عودة شعبها لوطنه ، شرف التأثير في دفع عجلة التطور الاجتماعي والاقتصادي للشعوب العربية ، ولكن الحقيقة أن الاهداف الوطنية والاجتماعية في الثورة الوطنية الديمقراطية ، أهداف متداخلة يصعب الفصل بينها . والثورة الفلسطينية حتى وهي تناضل من أجل الارض بشكل أساسي ليست بعيدة بالدرجة التي يتصورها البعض عن الافكار والاهداف الاجتماعية ، وعلى رغم ان هذه الاهداف لم تتبلور بعد في تفاصيلها لانها سابقة لاوانها ، الا أن خطوطها العريضة ماثلة في فكر المقاومة .

ان الثورة الفلسطينية بفعل هذا الارتباط النضالي بين الوطني والاجتماعي ، وبفعل موقعها المتحيز — ولا أقول الطليعي — في حركة التحرر الوطني العربية ، تشكل في الساحة العربية أداة تغيير ثوري وعنصرا فعالا من عناصر التأثير على خط سير التطور اللاحق في العالم العربي . ومن هنا تتخطى الثورة الفلسطينية مجال اختصاصها المباشر ، وتتجاوز حتى حجمها العسكري او التنظيمي ، وتصبح دائرة فعلها الساحة العربية كلها ، ومقياس قوتها الاثر البالغ الشدة الذي تتركه في هذه الساحة .

واليوم ، والثورة الفلسطينية على هذا القدر من القوة ، فانها استطاعت ان تفك من حولها الكثير من قيود الوصاية العربية ، لتنطلق في المجال الرحب وتحتل موقعها الطبيعي في صفوف الثورة العالمية . فلقد كان من غير الطبيعي ان تبقى الثورة بعيدة عن حلفائها ومحكومة علاقاتها بهم عبر بعض الانظمة ، مهما علا شأن هذه الانظمة وخلصت نواياها .

لقد كان محتوما للثورتين الفلسطينية والاشتراكية ان تلتقيا ، وان تطورا علاقاتهما الى المدى الذي يصح تسميته بالتحالف الابدي . فالثورة الاشتراكية انطلاقا من طبيعتها ومبادئها الاممية تشكل قاعدة ثابتة لدعم نضالات الشعوب ولجم التطاولات عليها . والاتحاد السوفياتي وليد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، أعلن منذ قيامه التزامه بهذا الدعم الذي يتفق لا مع مبادىء الاشتراكية فحسب ، بل ومع مصالحها كذلك .

والى جانب المبادىء الاممية والطبيعة الاشتراكية التي يستلهم منها الاتحاد السوفياتي سلوكه وتوجهاته في المجالين الداخلي والخارجي ، فانه ينطلق في دعمه الثابت للثورة الفلسطينية من مبدأ العداء للامبريالية والصهيونية ، العدوين المباشرين في الوقت نفسه للثورة الفلسطينية .

ان مكونات الثورة العالمية في عصرنا الحالي ثلاثة : الثورة الاشتراكية ، والحركة